

عُدَّةُ السَّبَاقِ
فِي
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
(أَرْبَعِينَاتٌ ثَلَاثٌ)

جَمْعٌ وَتَرْتِيبٌ وَتَعْلِيقٌ

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ
سَعْدِ بْنِ السَّيِّدِ الشَّالِ

دَبِي

١٤٣٣هـ



قال ابن رجب - رحمه الله - :

«وقد حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح عن أبي محمد بن أبي زيد إمام المالكية في زمانه أنه

قال: جماع أبواب الخير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث:

١. قول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

٢. وقوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

٣. وقوله ﷺ: «للذي اختصر له في الوصية: «لا تغضب».

٤. وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

جامع العلوم والحكم (الحديث الثاني عشر)

إِقْصِدْ - هُدَيْتَ - مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ	وَاصْعَدْ إِلَيْهَا بِسُلْمِ الْأَشْوَاقِ
بُعِثَ الرَّسُولُ مُكْمَلًا وَمُتَمَّمًا	لِلْعَالَمِينَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
وَاحْذَرْ - حُمَيْتَ السُّوءِ - مِنْهَا وَاجْتَنِّبْ	سَفْسَافَهَا كَيْمَا تَقْزُ بِخِلَاقِ
إِنِّي رَأَيْتَ الشَّرَّ ظَلَّ مَصَاحِبًا	عَبَّرَ الْقُرُونِ لِسَيِّئِ الْأَخْلَاقِ
وَالْخَيْرَ وَالتَّوْفِيقَ صَارَ مَلَاذِمًا	فِي شَرْعِنَا لِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ
بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ تَسْمُو رِتَبَةٌ	عِنْدَ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْخِلَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، وَنَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]. أما بعدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد، فَإِنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ مِنْ أَعْظَمِ خِصَالِ التَّقْوَى، وَلَا تَتَمُّ التَّقْوَى إِلَّا بِهِ، بَلْ هُوَ - بِعُمُومِهِ وَشُمُولِهِ - التَّقْوَى كُلُّهَا، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ الْقِيَامُ بِحَقِّ اللَّهِ دُونَ حَقُوقِ عِبَادِهِ. وَكَثِيرًا مَا يَغْلِبُ عَلَى مَنْ يَعْتَنِي بِالْقِيَامِ بِحَقُوقِ اللَّهِ، وَالِاعْتِكَافِ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَطَاعَتِهِ؛ إِهْمَالُ حَقُوقِ الْعِبَادِ بِالْكُلِّيَّةِ أَوْ التَّقْصِيرُ فِيهَا. وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْقِيَامِ بِحَقُوقِ اللَّهِ وَحَقُوقِ عِبَادِهِ عَزِيزٌ جَدًّا، لَا يَقْوَى عَلَيْهِ إِلَّا الْكَمَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ^(١).
فَالْأَخْلَاقُ - إِذَنْ - هِيَ الْإِسْلَامُ كُلُّهُ وَالدِّينُ كُلُّهُ؛ فَإِنَّهَا أَسْلُ مُعَامَلَةِ الْمُؤْمِنِ مَعَ رَبِّهِ، وَهِيَ الرِّابِطَةُ الْمُتَيْنَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ: أَهْلُهُ وَأَسْرَتُهُ، جِيرَانُهُ، زَمَلَانُهُ، مَجْتَمَعُهُ، دَوْلَتُهُ، الْعَالَمُ كُلُّهُ حَتَّى مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ.

لَا جَرَمَ كَانَ الْإِتْرَامُ بِهَا التِّزَامُ بِالْإِسْلَامِ، وَالتَّحْلِي بِهَا أَعْظَمُ سَبِيلٍ لِلدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ.

١- انظر: ابن رجب: جامع العلوم والحكم، ص ٢٧٧ الهلالي.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وإن مما يدل على شمول الأخلاق للدين كله قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] قال ابن عباس: " وإنك على دين عظيم، وهو الإسلام ". وكذا قال مجاهد وغيره من المفسرين.

وقال غيرهم: لعل أدب عظيم، والإسلام هو الأدب. ومما يدل على هذا أيضاً قول عائشة رضي الله عنها لما سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «إن خلق رسول الله ﷺ القرآن» وفي لفظ: «كان خلقه القرآن» رواه مسلم. قال ابن كثير: ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن: أمراً ونهياً؛ سجية له وخلقاً تطبّعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم: من الحياء والكرم، والصفح والحلم، وكل خلق جميل، كما في البخاري ومسلم عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فما قال لي: أف، قط، ولا قال لشيءٍ فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيءٍ لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً. قال: ولا مسست خيراً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ. وعند البخاري عن البراء قال: كان رسول الله ﷺ أطيب الناس خلقاً... وعند أحمد عن عائشة قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين قط إلا اختار أيسرهما إليه إلا أن يكون إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرماً لله، فيكون هو ينتقم لله عز وجل».

ومما يدل على هذا أيضاً قوله ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق». رواه أحمد. ويدل على هذا أيضاً قوله ﷺ: «البر حسن الخلق». ومعلوم أن البر هو الدين كله كما في آية البر: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ

وَالسَّائِلِينَ وَيَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧]

فالإسلامُ مجموعٌ في حُسْنِ الخلقِ، فمن أراد الأخلاقَ فعليه بالعملِ بحقيقةِ الإسلامِ والقرآنِ والسُّنةِ، فيؤمنُ بالنبيِّ ﷺ ويتبعه؛ فإن هذا هو الخلقُ، لا خلقُ الفلاسفةِ الذين تفرَّزَ عقولُهم وحيِّ الشياطينِ، فمنهم من جعلَ الأخلاقَ: العقلَ، ومنهم من جعلَها: المادةَ، وآخرونَ: اللذةَ، وآخرونَ: المنفعةَ، وهلمَّ جرّاً.

وَلِأَجْلِ مَنْزِلَةِ الأخلاقِ الحَسَنَةِ مِنْ دِينِ الإسلامِ؛ فقد اعتنى أئمةُ الإسلامِ بها، وصنّفوها في كتبهم: كأصحابِ الكُتُبِ السُّنَّةِ الذين يذكرون أبوابَ البرِّ والصَّلةِ والآدابِ، ومن الأئمةِ من أفردَها بالتصنيفِ كابن أبي الدنيا، فإنَّ له مئتي كتابٍ كُلُّها في الأخلاقِ، وكذا الخرائطيُّ^(٢) له كتابُ «مكارمُ الأخلاقِ ومعالِها ومحمودُ طرائقِها».

وَلِسَبَبِ حاجَةِ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ إلى الأخلاقِ الحَسَنَةِ والتَّحليِّ بها؛ ودِدَّتْ أن أذكَّرَ نفسي وإخواني المسلمين ببعضِ مكارمِ الأخلاقِ وفضائلِها من خلالِ هذا المجموعِ الحديثيِّ، وقد جعلته على ترتيبٍ ما جاء في كتابِ الخرائطيِّ - رحمه الله -، إلا أن أُضيفَ إليه ما يحسُنُ ذِكْرَهُ ولا يُستغنى عنه. واللهُ حسبنا ونعمَ الوكيلُ، وهو بكلُّ جميلٍ كفيلاً.



٢- هو الإمام الحافظ المصنف أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل (توفي عام ٣٢٧هـ).

بَابُ فِي الرَّحْتِ عَلَى الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ

وَالترغيب فيها

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بُعثتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ». وفي رواية: «مكارم الأخلاق»^(٣).

فالغاية من بعثة النبي ﷺ هي إتمام صالح الأخلاق. قال الطحاوي في كتابه «مشكل الآثار»: أي صالح الأديان، وهو الإسلام. وقال ابن الأثير في «النهاية»: وحقيقته - أي: حقيقة الخلق - أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي: نفسه وأوصافها ومعانيها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها... والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة. قال أبو العتاهية:

الدين إِمَارَةُ الْأَخْلَاقِ

لَيْسَ دُنْيَا بَغَيْرِ دِينٍ وَلَيْسَ

وَقَالَ مَنفَرٌ بَيْنَ فَرَوَةَ:

فِي صَالِحِ الْأَخْلَاقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ

فهذا الحديث العظيم كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فمن أراد حياة الأخلاق الحسنة كلها فليتزِم الإسلام، فإنها لا توجد كاملة إلا فيه، وما لا يوجد في الإسلام، فهو ليس بخلق حسن.

٢. عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب المعالي الأخلاق، ويكره سفافها»^(٤). وصح ذلك من حديث علي رضي الله عنه.^(٥)

٣- صحيح. ص.ج (٢٣٤٩)، والصحيحة (٤٥).

٤- السُّفَّافُ: الأمرُ الحَقِيرُ والرديءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وهو ضدُّ المعالي والمكارم.

٥- صحيح. ص.ج (١٨٨٩)، (١٨٩٠). والصحيحة (١٣٧٨).

• قاله تعالى يحبُّ الأخلاقَ الحسنةَ وأهلها، ويبغضُ الأخلاقَ السيئةَ وأصحابها.

٣. عن معاذِ بنِ جبلٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أتقِ اللهُ حيثما كنت، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمَحُّها، وخالفِ الناسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ». وصح ذلك من حديثِ أبي ذرٍّ وأنسٍ رضي اللهُ عنهما.^(٦)

• والخلقُ الحسنُ من جملةِ التقوى، بل هو هي، وإنما أُفردَ بالذكرِ؛ لأنَّ ما يتعلَّقُ منه بالناسِ ضيِّعه أكثرُ الناسِ إلا من اصطفى اللهُ واجتبى.

٤. عن ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ كما حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خَلْقِي»^(٧).

• فَمِنْ أعظمِ الوسائلِ لتحصيلِ الأخلاقِ الحسنةِ: الدعاء. وقد كان النبيُّ ﷺ إذا كَبَرَ للصلاةِ استفتحَ بِدعاءِ التَّوَجُّهِ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً مسلماً وما أنا من المشركين...» ثم يقول: «وَأَهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ...» رواه مسلم. بل كان ﷺ يقولُ في خطبته على المنبر: «إنَّما يَهْدِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ: اللهُ، وإنَّما يَصْرِفُ مِنْ أَسْوَأِهَا هو»^(٨).

٥. وعن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ النَّاسِ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً»^(٩).

• وقد صحَّ هذا الحديثُ بِلَفْظٍ: «أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَاناً»، وبلِفظٍ: «أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَيَّ اللهُ»، وبلِفظٍ: «أَحْسَنُ النَّاسِ إِسْلَاماً»، وبلِفظٍ: «خَيْرُ النَّاسِ». فكمالُ الإِيْمَانِ وَأَفْضَلِيَّتُهُ

٦- صحيح. ص.ج (٩٧). والصحيحة (١٢٧٣).

٧- صحيح. ص.ج (١٢٠٧)، وإرواء الغليل (٧٤).

٨- رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وهو صحيح بشواهده.

٩- صحيح. ص.ج (١٢٣٠)، و«الصحيحة» (٢٨٤).

وَأَحَبِّيَّةُ اللَّهِ وَأَحْسَنُ الْإِسْلَامِ، وَالْخَيْرِيَّةُ الْمَطْلُوقَةُ؛ كُلُّ هَذَا فِي حُسْنِ الْخُلُقِ.

٦. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ مِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْعَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَائِرُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ. قالوا: قد عَلِمْنَا «الثَّرَائِرُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ» فما الْمُتَفَيِّهُونَ؟ قال: الْمُتَكَبِّرُونَ»^(١٠).

• الثَّرَائِرُ: هُوَ كَثِيرُ الْكَلَامِ تَكْلُفًا. وَالْمُتَشَدِّقُ: الْمُتَوَسِّعُ فِي الْكَلَامِ تَفَاصُحًا وَتَعْظِيمًا لِكَلَامِهِ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاظٍ وَاحْتِرَازٍ. فَعَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ تَرْكُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ: كَثْرَةُ الْكَلَامِ (كَمِيَّةً)، وَالتَّوَسُّعُ فِيهِ (كَيْفِيَّةً)، وَالتَّكَبُّرُ.

٧. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَفْضَلُ النَّاسِ كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ، قَالُوا: صَدُوقِ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غُلَّ وَلَا حَسَدَ». زَادَ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي رِوَايَتِهِ: «قَالُوا: فَمَنْ يَلِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَشُنُّ الدُّنْيَا وَيَحِبُّ الْآخِرَةَ. قَالُوا: مَا نَعْرِفُ هَذَا إِلَّا رَافِعَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالُوا: فَمَنْ يَلِيهِ؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ فِي خُلُقٍ حَسَنٍ»^(١١).

• قَالَ فِي «النِّهَايَةِ»: فَمَنْ حَمَمَتِ الْبَيْتَ: إِذَا كَسَّتْهُ وَنَطَفَتْهُ. فَهُوَ كَمَا قَالَ ﷺ: «النَّقِيُّ»، وَلَا نِقَاءَ إِلَّا بِالتَّقْوَى بَعْدَ التَّنْقِيَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَالغُلِّ وَالْحَسَدِ، وَهَذَا هُوَ أَصْلُ الْأَخْلَاقِ وَعِمَادُهَا. فَأَصْلُ الْأَخْلَاقِ فِي الْقَلْبِ، وَفُرُوعُهَا وَثَمَارُهَا تَطَهَّرُ عَلَى الْجَوَارِحِ. فَالْأَخْلَاقُ كَالْإِيمَانِ أَصْلًا وَفُرْعًا.

١٠- حسن. ص.ج (٢٢٠١) والصحيحة (٧٩١). وصح من حديث علي رضي الله عنه مختصراً. ص.ج (١١٧٦).

١١- صحيح. الصحيحة (٩٤٨).

٨. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخَلْقِ
درجةَ الصَّائِمِ وَالْقَائِمِ»^(١٢).

- فكم من طاعمٍ نائمٍ بحسْنِ الخلقِ ارتفع، وكم من صائمٍ قائمٍ بسوءِها اتضع.

٩. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ
الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»^(١٣).

- البذيء: الفاحشُ السُّيِّءُ القول.

١٠. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخلُ الناسَ
الجنةَ، فقال: تقوى الله وحسنُ الخلقِ. وسئل عن أكثر ما يدخلُ الناسَ النارَ، فقال:
الضمُّ والفرجُ»^(١٤).



١٢- صحيح. صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤٣).

١٣- صحيح ص.ج (٥٦٣٢).

١٤- حسن: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٣٢).

١. كَرَمُ السَّجِيَّةِ، وَكَفُّ الْأَذِيَّةِ، وَجَمِيلُ الْعِشْرَةِ.

١. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ». وفي لفظ: «الهيِّن اللين، السَّهْلُ القريب»^(١٥).

• وَنَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَالْأَسْوَدُ الْحَسَنَةُ فِي اللَّيْنِ وَالسُّهُولَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وتعامله مع نسائه وخدمته وأصحابه وجفاة الأعراب وغيرهم لا يحتاج شرحاً ولا بياناً إلا تذكراً لمن أراد المعالي.

بِعَثَ الرَّسُولُ مُكْمَلًا وَمُتَمِّمًا
لِلْعَالَمِينَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ تَسْمُورِ تَبَّةً
عِنْدَ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْخَلَّاقِ

٢. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لَقِيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»^(١٦).

• هَذِهِ الْأَخْلَاقُ الْعَالِيَةُ لَا تَصْدُرُّ إِلَّا مِنْ كَرِيمِ السَّجِيَّةِ، فَمِنْ كَرَمِهِ أَنَّهُ يَقَابِلُ الْقَطِيعَةَ بِالصَّلَةِ، وَالْحَرَمَانَ بِالْعَطَاءِ، وَالظُّلْمَ بِالْعَفْوِ. فَيَقَابِلُ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ. وَهَذَا مِنْهُجٌ أَخْلَاقِيٌّ لَوْ اتَّبَعْنَاهُ لَأَطْفَأْنَا نِيرَانُ الشَّرِّ كُلَّهُ.

١٥- صحيح. الصحيحة (٩٢٨). وصح من حديث أنس/ صحيح الترغيب (١٧٤٦)، ومعيقب/ صحيح الترغيب (١٧٤٧). رضي الله عنهما.
١٦- صحيح. الصحيحة (٨٩١، ٨٩٠).

٢. اصطناعُ المعروف.

٣. عن أمِّ سلمَةَ رضي اللهُ عنها قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «صنَّاعُ المعروفِ تَقِي مِصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمُ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمُ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ»^(١٧).

• فإذا صنعتَ المعروف، وعُرفتَ به؛ عرَّفَكَ اللهُ به يومَ القيامة، ويجازيك عليه خَيْرَ الجزاء، والصدُّ بالصد.

٤. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمُهُ ولا يُسَلِّمُهُ. مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١٨).

• الإيمانُ باليومِ الآخرِ أعظمُ قَائِدٍ لِصِنَائِعِ الْمَعْرُوفِ.

٣. لِينُ الْكَلَامِ وَخَفْضُ الْجَنَاحِ.

٥. عن عليِّ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ فِي الْجَنَّةِ لَعْرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(١٩).

١٧- صحيح. ج. (٢٧٩٦) وصح "كل معروف صدقة" من حديث ابن مسعود/ ص.ج (٢٩٠٢). وجابر عند البخاري، وحذيفة عند مسلم، وابن عباس/ ص.ج (٤٥٥٦). وانظر الصحيحة (٢٠٤٠). وعبد الله بن يزيد الخطمي/ صحيح الأدب المفرد (٢٣١/١٧١).

١٨- متفق عليه.

١٩- صحيح. ص.ج (٢١٢٣) وصح ذلك من حديث أبي مالك الأشعري، وعبد الله بن عمرو.

- ما أحسنَ المناسبةَ بينَ الأعمالِ المذكورةِ هنا وجزائها؛ فإن الأعمالَ المذكورةَ ناشئةٌ عن الرِّقَّةِ والرَّحمةِ وصفاءِ القلبِ، فكان الجزاءُ صفاءً أيضاً.

٤. حِفْظُ الْأَمَانَةِ وَذَمُّ الْخِيَانَةِ.

٦. عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنه قال: ما خَطَبَنَا رسولُ اللهِ ﷺ إلا قال: «لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له»^(٢٠).

- تضييعُ الأمانةِ من أكبرِ الكبائرِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ نفى الإيمانَ عن مُضَيِّعِهَا، والدينُ كلُّهُ أمانةٌ كما قال السَّلَفُ.

٧. عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ رضي اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أربعٌ إذا كُنَّ فيكَ فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظُ أمانةٍ، وصدقُ حديثٍ، وحسنُ خَلِيقَةٍ، وعِفَّةٌ طُعْمَةٍ»^(٢١).

- فهذه الخصال من الكنوز؛ فاكتنزها عندما يكتنزُ الناسُ الذهبَ والفضَّةَ.

٨. عن أنسِ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أولُ ما تفقدون من دينكمُ الأمانةُ، وآخرُها الصلاةُ»^(٢٢).

٩. عن حُذَيْفَةَ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الأمانةَ نزلتْ في جَدْرِ قلوبِ الرِّجالِ، ثم نزلَ القرآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، ينامُ الرجلُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثم ينامُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةَ مِنْ

٢٠- صحيح. ص.ج (٧١٧٩).

٢١- صحيح. الصحيحة (٧٢٢).

٢٢- صحيح. الصحيحة (١٧٣٩).

قَلْبِهِ فَيُظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجَلِّ: كَجَمْرِ دَحْرَجَتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَتَنْفَطِرُ فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتْبَاعِيُونَ، لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنْ فِي بَنِي فَلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا؛ حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجَلَدُهُ؛ مَا أَعْقَلَهُ؛ وَمَا فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(٢٣).

• جَدْرٌ: أَسْلٌ. وَالْمِرَادُ مَا فُطِرَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْإِيْمَانِ الَّذِي هُوَ الْأَمَانَةُ.

الْوَكْتُ: الْأَثَرُ الْيَسِيرُ. وَأَصْلُهُ لَوْنٌ فِي الْجِلْدِ يَخَالِفُ لَوْنَهُ.

الْمَجَلُّ: قُبَّةٌ فِيهَا مَاءٌ مِنْ أَثَرِ الْعَمَلِ بِالنَّفْسِ وَنَحْوِهَا.

نَفِطٌ: انْتَفَخَ. مُنْتَبِراً: مُرْتَفِعاً.

وَتَأْمَلُ كَيْفَ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ رَفَعَ الْأَمَانَةَ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ: «وَمَا فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»، فَعَلِمَ أَنَّ الْأَمَانَةَ هِيَ الْإِيْمَانُ، وَأَنَّهُ يَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ.

وَقَالَ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»^(٢٤).

١٠. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ: يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوْبِيصَةُ. قِيلَ: مَا لِرُّوْبِيصَةٍ؟ قَالَ: الرَّجُلُ النَّافَهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»^(٢٥).

• أَمْرٌ خَطِيرٌ وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي أُمُورِ النَّاسِ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ لَذَلِكَ.

١١. عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنَ لَكُمْ الْجَنَّةَ: أَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَاصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(٢٦).

٢٣- متفق عليه.

٢٤- الصحيحة (٥٤٩).

٢٥- صحيح. ص. ج. (٣٦٥٠)، والصحيحة (١٨٨٧).

٢٦- صحيحة. الصحيحة (١٤٧٠).

٥. الوفاء بالوعدِ وذمُّ الخلفِ به.

١٢. عن ابنِ عمَرَ رضي اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أربعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مَنَافِقًا خَالصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ حَـصَلَةٌ مِنْهُنَّ؛ كَانَتْ فِيهِ حَـصَلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَّعِيَهَا: إِذَا اتَّيَمَّنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٢٧).

- وهذا بالنسبةِ إلى المسلم هو النفاق العملي (الأصغر)، وهي خصالُ المنافقين، وقد توجَّد في المسلم ولا يكونُ بها منافقًا النِّفاقُ الاعتقاديُّ (الأكبر).
ومن اجتمعت فيه فقد بلغ الحد الأعلى من النفاق العملي، ولا يكفُرُ بذلك إلا إذا استَحَلَّ.

٦. حِفْظُ الْجَارِ وَحُسْنُ مَجَاوِرَتِهِ.

١٣. عن ابنِ عمَرَ وعائِشَةَ رضي اللهُ عنهما قالَا: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما زال جبريلُ عليه السلامُ يوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيورثه»^(٢٨).

- سيورثه: أي: يأمرُ عن اللهِ بتوريثِ الجارِ من جاره، بفرَضِ سَهْمٍ له يُعْطَاهُ مع الأَقَارِبِ، والجارُ هو الجارُ مهما كان حاله من إسلام أو كُفْرٍ، عبادة أو فسق، صداقة أو عداوة، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فيُعطَى كُلُّ حَقِّه بِحَسَبِ حاله.

١٤. عن جابرِ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا طَبَخَ أَحَدُكُمْ قَدْرًا فَلْيَكْثِرْ مَرَقَهَا، ثُمَّ لِيَنَاولِ جَارَهُ مِنْهَا».

١٥. عن المقدادِ بنِ الأسودِ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَأَنْ يَزِنِي الرَّجُلُ بِعَشْرِ

٢٧- متفق عليه.

٢٨- متفق عليه.

نِسْوَةٌ آيِسْرٌ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزِنِي بِامْرَأَةِ جَارِهِ، وَلَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرِ آيِبَاتٍ آيِسْرٌ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ»^(٢٩).

• وذلك أن هذا الفاعل من زنا وسرقته يخون في موضع الإتيان، ويضيع في موضع الأداء.

١٦. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ»^(٣٠).

• فالشبع والجار جائع كبيرة من الكبائر، ونقص في الإيمان؛ فإذا نزل الجار الجائع من واجبات الإيمان.

١٧. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ غَوَائِلَهُ»^(٣١).

• والحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره نحوه بلفظ: «بِوَأْتَقَهُ». والمعنى واحد - أي: شره.

١٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأْتَقَهُ»^(٣٢).

١٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالُوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ حَشْبَةً فِي جِدَارِهِ»^(٣٣).

٢٩- صحيح، ص. ج (٥٠٤٢) الصحيحة (٦٥).

٣٠- صحيح، ص. ج (٥٢٨٢) الصحيحة (١٤٩).

٣١- حسن (٥٢٨٧). الصحيحة (٢١٨١).

٣٢- رواه مسلم

٣٣- متفق عليه، ص. ج (٧٧٨٤).

- قال الألباني - رحمه الله - : فقد وَصَلَ الحَالُ ببعضِ الناسِ إلى وَضْعِ لا يُطَاقُ من الأنايَةِ والإِسْتَبْدَادِ وَمَنَعَ الإِرْتِفَاقِ؛ بسببِ القَوَانِينِ الوَضْعِيَّةِ القَائِمَةِ على المِصَالِحِ المَادِّيَّةِ دُونَ المَبَادِيِ الخُلُقِيَّةِ.

٢٠. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجاتها، ولو فرسين شاة»^(٣٤).

- الفِرْسَنُ: عَظْمٌ قَلِيلٌ للحم، وهو خُفُّ البعيرِ كالحافرِ للدابة، وقد يُستعارُ للشاة، والذي للشاة هو الظلف. ومعنى الحديث: لا يمنع قلة الهدية الإهداء، بل وجود الإنسان بما تيسر؛ فإن الهدية كما قال القائل:

هدايا الناس بعضهم لبعض
وتزرع في الضمير هوى ووداً
تولد في قلوبهم الوصالاً
وتكسوهم إذا حضروا جمالاً

٢١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يأخُذُ عني هذه الكلمات فيعملُ بهن، أو يُعَلِّمَ من يعملُ بهن؟ فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدَّ خمساً فقال: اتقِ المحارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ الناسِ، وارضَ بما قَسَمَ اللهُ لك تكن أغنى الناسِ، وأحسِنْ إلى جارِكِ تكن مؤمناً، وأحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسِكِ تكن مسلماً، ولا تُكثِرِ الضَّحِكِ، فإن كثرةَ الضَّحِكِ تَمِيتُ القلبَ»^(٣٥).

٢٢. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، كيف لي أن أعلم إذا أحسنت؟ قال: إذا سمعتَ جيرانك يقولون: أحسنت؛ فقد أحسنت، وإذا سمعتهم

٣٤- متفق عليه.

٣٥- حسن. ص.ج (١٠٠) والصحيحة (٩٣٠). نجاة الأمة المحمدية في هدي خير البرية.

يقولون: قد أسأت؛ فقد أسأت»^(٣٦).

- فالجأرُ معيارُ على الإحسانِ والعار.

٧. صلة الأرحام والعطف عليهم.

٢٣. عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «من أحبَّ أن يُيسَّطَ له في رِزِّقه وأن يُنْسَأَ له في أثره، فليصلِ رَحِمَه»^(٣٧).

- ومعنى (يُنْسَأُ له في أثره): يُؤَخَّرُ له في أَجَلِه، ويمدُّ له في عُمُرِه، فيطولُ عُمُرُه ويحسُنُ عَمَلُه. وليس المرادُ أن يُغيَّرَ ما في اللوحِ المحفوظ، وإنما المرادُ أن اللهُ سبحانه وتعالى جعل صلة الرَّحِمِ سبباً لطولِ العُمُرِ والبَسْطِ في الرِّزْقِ، فاللهُ قدَّرَ هذا وهذا - أي: السببَ والمُسَبَّبَ - وكتبه في اللوحِ المحفوظ، فمن أراد المُسَبَّبَ فعليه بالسبب.

٢٤. عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ليس شيءٌ أُطِيعَ اللهُ فيه أَعَجَلَ ثواباً من صلَّةِ الرَّحِمِ، وليس شيءٌ أَعَجَلَ عقاباً من البَغْيِ وقطيعةِ الرَّحِمِ، واليمينُ الفاجرةُ تدعُ الديارَ بلائع». ومن طريقٍ أخرى بلفظ: «إنَّ أَعَجَلَ الطاعةِ ثواباً صلَّةِ الرَّحِمِ حتى إن أهلَ البيتِ ليكونونَ فجَّاراً، تَمِّي أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم»^(٣٨).

- بلائع: جمع بَلَّعَ، وهي الأرضُ القفراءُ التي لا شيءَ فيها.

٢٥. وعن سلمانِ بنِ عامرٍ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الصدقةُ على المسكينِ صدقةٌ، وعلى ذوي الرَّحِمِ ثنتان، صدقةٌ وصلَّة»^(٣٩).

٣٦- صحيح. ص.ج (٦١٠)، والصحيحة (١٣٢٧).

٣٧- متفق عليه

٣٨- صحيح. الصحيحة (٩٧٨).

٣٩- حسن صحيح. الإرواء (٨٨٢)، وصحيح الترغيب والترهيب (٨٩٢).

٢٦. عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بُتَّته»^(٤٠).

- ترغيبٌ عظيمٌ لمن وصل، وترهيبٌ شديدٌ لمن قطع. ومعنى (بُتَّته): قطعته.

٢٧. عن أم كلثوم بنت عمبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح»^(٤١).

- الكاشح: الذي يُضمرُّ البغض والعداوة. فالصدقة عليه أفضل لما فيه من قهر النفس على الإحسان إلى من يعاديها ويُبغضها. وأصل ذلك عند العرب أن العدو المَبغض يُبطنُ العداوة، ويطوي عليها كَشْحَه - أي: باطنه. والكشح: الخصر، والمراد البطن.

٨. الحياء.

٢٨. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ برجلٍ يعظُ أخاه في الحياء، فقال: «دَعَهُ؛ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٤٢).

- قال ابن عبد البر: «ومعنى الحديث - والله أعلم - أن الحياء يمنع من كثيرٍ من الفحش، ويشتمل على كثيرٍ من أعمال البرِّ، وبهذا صار جزءاً وشعبةً من الإيمان... لأنه يعمل عمَلَه، فلما صار الحياء والإيمان يعملان عملاً واحداً؛ جعلنا كالثيء الواحد، وإن كان الإيمان اكتساباً والحياء غريزة».

٤٠- صحيح. ص.ج (٤٣١٤)، والصحيحة (٥٢٠)، وص.د (١٤٨٧).

٤١- صحيح. الإرواء (٨٩٢)، ص.ج (١١١٠) وفي الباب عن حكيم بن حزام رضي الله عنه. صحيح الترغيب والترهيب (٨٩٣).

٤٢- متفق عليه.

٢٩. عن أنسِ وابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهم قالَا: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»^(٤٣).

• وإنما كان خلقُ الإسلامِ الحياءِ؛ لأنه يحملُ على فعلِ الحَسَنِ، واجْتِنَابِ القَبِيحِ، وهل الإسلامُ إلا ذلك؟!

٣٠. عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي اللهُ عنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ أشدَّ حياءً مِنَ الْعُذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا»^(٤٤).

• العذراء: البِكْرُ. فِي خَدْرِهَا: فِي سِتْرِهَا. وهذا لا يعني أنه ﷺ يسكتُ دون بيان الحق؛ فإن الحقَّ لا يُسْتَحْيَا منه.

٣١. عن سعيدِ بنِ يزيدِ الأنصاري أن رجلاً قال: يا رسولَ اللهِ أَوْصِنِي. قال: «أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللهِ عِزَّ وَجَلَّ كَمَا تَسْتَحْيِي رَجُلًا مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ»^(٤٥).

٣٢. عن ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ». قال: قلنا يا نبيَّ اللهِ إنا لَنَسْتَحْيِي والحمد لله. قال: «ليس كذلك، ولكنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»^(٤٦).

• فَالْإِسْتِحْيَاءُ الْحَقُّ يَحْمَلُ عَلَى مَقْصُودِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ تَرْبِيَةُ النَّفْسِ عَلَى حِفْظِ اللهِ.

٤٣- حسن. ص.ج (٢١٤٩) والصحيحة (٩٤٠).

٤٤- متفق عليه.

٤٥- صحيح. الصحيحة (٧٤١).

٤٦- حسن لغيره. صحيح الترغيب والترهيب (١٧٢٤).

٩. إكرام الضيف والإحسان إليه.

٣٣. عن أبي شريح رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه: جائزته يومً وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، ولا يحلُّ له أن يتَّوَّيَّعَ عنده حتى يُحْرِجَهُ»^(٤٧).

- معناه أنه يحتفل له في اليوم الأول، ويقدم إليه ما حضره في الثاني والثالث، وهو فيما وراء ذلك متبرِّع، إن فعل فحسن، وإلا فلا بأس به كالمُتصدِّق، وعلى الضيف ألا يطيل الإقامة عنده حتى يضيق عليه، قاله الزمخشري في «الفائق».

١٠. إطعام الطعام.

٣٤. عن صُهَيْبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَرَدَّ السَّلَامَ»^(٤٨).

٣٥. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني»^(٤٩).
- العاني: الأسير.

١١. إكرام الكبار وتوقيرهم.

٣٦. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا»^(٥٠).

٤٧- متفق عليه.

٤٨- حسن: ص.ج (٢٣١٨).

٤٩- رواه البخاري.

٥٠- صحيح. ص.ج (٥٤٤٥). والصحيحة (٢١٩٦).

٢٧. عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «الْبِرْكَةُ مَعَ أَكْبَرِكُمْ»^(٥١).

٢٨. عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمْرِي جَبْرِيْلُ أَنْ أَقْدِمَ الْأَكَابِرِ»^(٥٢).

• السنُّ من الأوصافِ التي يُقَدَّمُ بها، فيُستدلُّ به في أبوابٍ كثيرةٍ من الفقه، ويطرُدُ في جميعِ وجوهِ الإكرام، كركوبِ وأكلِ وشُرْبِ وانتعالِ وطيبِ، ومحلُّ ذلك ما لم يعارضُ فضيلةَ السنِّ أَرَجَحَ منها: كجهةِ اليمينِ في الشرابِ، وإمامةِ الصلاةِ، والإمامةِ العُظمى، وولايةِ النكاحِ.

٢٩. عن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَائِفِ عَنْهُ، وَإِكْرَامِ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسَطِ»^(٥٣).

١٢. إِنْصَافُ الرَّجُلِ مِنْ نَفْسِهِ.

٤٠. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصَلِّحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشْرِهِ، إِذْ نَادَى مَنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لِهِمْ، وَيُنذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنْ أُمَّتُكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوْلِيَّهَا، وَسَيَصِيبُ

٥١- صحيح. ص.ج (٢٨٨٤)، والصحيحة (١٧٧٨).

٥٢- صحيح. الصحيحة (١٥٥٥).

٥٣- حسن. ص.ج (٢١٩٩).

أَخْرَجَهَا بِلَاءٌ وَأَمُورٌ تُتَكْرَمُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرْفَقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَتَكشَّفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْحَرَخَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمْرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيَطْعُهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخِرٌ يَنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ «، فَدَنُوتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَدْرِكُ اللَّهَ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَأَهْوَى إِلَى أذُنِيهِ، وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: «سَمِعْتَهُ أَذْنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي»، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مَعَاوِيَةُ، يَا مَرْنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ، وَنَقْتَلُ أَنْفُسَنَا، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَطَعُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَعَصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ» (٥٤).

- (يَنْتَضِلُ): يرمي بالسُّهَامِ للتدريب. (فِي جَسْرِهِ): فِي دَوَابِّهِ الَّتِي تَرَعَى وَتَبِيْتُ مَكَانَهَا. (يُرْفَقُ بَعْضُهَا بَعْضًا): لِأَنَّ الْمَتَأَخَّرَةَ تَكُونُ أَشَدَّ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا، فَالْمُتَقَدِّمَةُ رَقِيقَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَا بَعْدَهَا.
- الشَّاهِدُ مِنَ الْحَدِيثِ: (وَلَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ) - أَي: يَعَامَلُ النَّاسَ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يَعَامِلُوهُ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الْإِنصَافُ - فَيُنصَحُ النَّاسَ كَمَا يُنصَحُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لِلنَّاسِ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَعَامَلُ النَّاسَ إِلَّا بِمَا يُحِبُّ أَنْ يَعَامِلُوهُ بِهِ، فَلَا يَكْذِبُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَغْشُهُمْ وَلَا يَخْدَعُهُمْ، وَلَا يُحِبُّ لَهُمُ الشَّرَّ، وَيَعَامِلُهُمْ بِاللُّطْفِ وَاللِّينِ وَحُسْنِ الْكَلَامِ وَحُسْنِ الْمُنَاطِقِ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ يَعَامِلُوهُ بِذَلِكَ، فَتَنْصَفُ النِّجَاةَ مِنَ الْفِتَنِ الْقِيَامُ بِالْوَجَابِ تَجَاهَ النَّاسِ. وَالنِّصْفُ الْآخِرُ: الْقِيَامُ بِالْوَجَابِ تَجَاهَ رَبِّ النَّاسِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤١. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير»^(٥٥).

٤٢. عن خالد بن عبد الله القسري عن أبيه أن النبي ﷺ قال لجده يزيد بن أسيد: «أحب للناس ما تحب لنفسك»^(٥٦).

٤٣. عن أبي المنتفق رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ بعرفة، فدنوت منه حتى اختلفت عنق راحلتي وعنق راحلته، فقلت: يا رسول الله أنبئني بعمل يجني من عذاب الله، ويدخلني جنته قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وأقم الصلاة المكتوبة، وأد الزكاة المفروضة، وحج واعتمر - قال: أشهد وأظنه قال: وصم رمضان - وانظر ماذا تحب من الناس أن يأتوه إليك فافعله بهم، وما تكره من الناس أن يأتوه إليك فذرهم منه». وله شاهد بلفظ: «وتأتي إلى الناس ما تحب أن يأتوه إليك، وما كرهت لنفسك فدع الناس منه»^(٥٧).

١٣. العفو والصفح.

٤٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقال مسلماً أقال الله عثرته يوم القيامة»^(٥٨).

• (أقال مسلماً): وافقه على نقض البيع والعهد ونحوهما، كما قال ﷺ: «من أقال أخاه يبعأ أقال الله عثرته يوم القيامة»^(٥٩). «أقال الله عثرته»: العثرة أصلها في عثرة الرجل

٥٥- صحيح. ص.ج (٧٠٨٥). والصحيحة (٧٢).

٥٦- صحيح. الصحيحة (٧٢).

٥٧- صحيح. الصحيحة (١٤٧٧)، (٣٥٠٨).

٥٨- صحيح: الإرواء (١٣٢٤).

٥٩- الصحيحة (٢٦١٤). عن أبي شريح.

عندما تصطدمُ بِحَجَرٍ ونحوه ثم عُمِّمَتْ فِي كُلِّ زَلَّةٍ وَخَطَاٍ يَرْتَكِبُهُ الرَّجُلُ، فَإِذَا أَخْطَأَ إِنْسَانٌ ضِدُّكَ ثُمَّ جَاءَ يَعْتَذِرُ، فَاقْبَلْ عُذْرَهُ وَأَقْلِ عَثْرَتَهُ، وَهَذَا مِنْ إِقَالَةِ أَخِيكَ فِيمَا نَدِمَ عَلَيْهِ مِمَّا ارْتَكَبَهُ فِي حَقِّكَ. فَإِنْ فَعَلْتَ أَقَالَكَ اللَّهُ وَتَجَاوَزَ عَنْكَ، وَعَفَا وَصَفَحَ. فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

٤٥. عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ظَلَمَهَا قَطُّ، مَا لَمْ يُنْتَهَكْ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ شَيْءٌ، فَإِذَا انْتَهَكَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ، كَانَ مِنْ أَشَدِّهِمْ فِي ذَلِكَ غَضَبًا، وَمَا خَيْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَأْتَمًا»^(١٠).

٤٦. وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ خَادِمًا قَطُّ وَلَا امْرَأَةً، وَلَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا خَيْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ أَيْسَرُهُمَا حَتَّى يَكُونَ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الْإِثْمِ، وَلَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَيَكُونُ هُوَ الْمُنْتَقَمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١١).

• صار انتقامنا لأنفسنا وانتصارنا لها، فأما الانتصار للدين والغضب لله فلم يعد إلا في أولي بقية يتهوون عن الفساد في الأرض.

٤٧. عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ، لَا قَطُّ وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَابٌ بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»^(١٢).

• (فَطْلُ): سَيِّءُ الْخُلُقِ، الْغَلِيظُ الْجَائِفِ، الْقَاسِي الْقَلْبِ. (سَخَابٌ) بِالْسَيْنِ وَالصَّادِ/

٦٠- صحيح. مختصر الشماثل (٢٠٠).

٦١- صحيح. الصحيحة (٥٠٧) وأصله في الصحيحين.

٦٢- صحيح. الصحيحة (٢٤٥٨).

الصَّخْبُ وَالصِّيَاحُ وَالضَّوْضَاءُ وَالجَلْبَةَ- أي: ليس مَمَّنْ يَنَافِسُ عَلَى الدُّنْيَا وَجَمَعَهَا بِحَضُورِهِ الْأَسْوَاقِ لِذَلِكَ.

٤٨. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] قال: في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأُميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكِّل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخابِ بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، فَيَفْتَحْ بِهِ أَعْيُنًا عَمَيَا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا» (٦٣).

- (حِرْزًا لِلأُمِيّين): حِصْنًا لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ، وَبَعْدَ مَمَاتِهِ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ. (غُلْفًا): مُغَطَّةٌ مَغْشِيٌّ عَلَيْهَا. فَهَكَذَا وَصَفَ نَبِيَّنَا ﷺ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ. يُرَوَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَتْ لِي أَعْرَابِيَّةٌ بِمَكَّةَ: أَرَأَيْكَ تَطْلُبُ الْأَدَبَ، فَهَلْ لَكَ فِي بَيْتٍ وَجِدَ فِي صَخْرَةٍ فَرَبْرٍ فَإِذَا هُوَ: وَمَا سَادَ مَنْ لَمْ يَعْفُ عَنْ ذَنْبٍ صَاحِبٍ وَإِنْ كَانَ فِي إِجْرَامِهِ يَتَعَمَّدُ (٦٤)
- فَالْعَفْوُ سِيَادَةٌ وَعِزٌّ. وَمَا أَزْدَادَ عَبْدٌ بَعْفُو إِلَّا عِزًّا.

١٤. الإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ.

٤٩. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةٍ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ. وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ» (٦٥).

٦٣- رواه البخاري

٦٤- الخرائطي (٧١٠/٢) برقم (٤٤٠).

٦٥- صحيح، ص. ج (٢٥٩٥).

- (ذات البين): الحال والعلاقات التي بين الناس. فالمراد إصلاح ما يحصل من فُرقةٍ ووحشة، ومن تباغضٍ وتدابُرٍ بين الناس، فيسعى المصلح للإصلاح بينهم. (الحالقة): تحلق الدين، وهذا يبين خطورة ما يحصل من الفُرقة بين الناس. وقد قال ﷺ: «إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة»^(٦٦).

٥٠. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل ابن آدم شيئاً أفضل من الصلاة وإصلاح ذات البين وخلق حسن»^(٦٧).

٥١. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين»^(٦٨).

٥٢. عن أم كلثوم بنت عتبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً ويقول خيراً»^(٦٩).

- (ينمي): يبلغ، فيخبر بما عمله المخبر عنه من خير، ويسكت عما عمله من شر.

١٥. كَفُّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ مِنَ اللِّسَانِ وَالْيَدِ.

٥٣. عن عبدة الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(٧٠).

٦٦- حسن ص.ج (٢٦٨٣).

٦٧- صحيح. ص.ج (٥٦٤٥)، والصحيحة (١٤٤٨).

٦٨- حسن. الصحيحة (٢٦٢٩).

٦٩- متفق عليه.

٧٠- متفق عليه.

- وإنما خَصَّهما النبي ﷺ بالذكر، لأن اللسان هو مَصْدَرُ الأذى القولي، وهو يعبرُ عما في القلب، وأما اليدُ فهي الأصلُ في الأذى الفعلي، وأكثرُ مزاوِلَةِ العملِ بها.

٥٤. عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضربَ بيدهِ خادماً قطَّ، ولا امرأةً قطَّ، ولا ضربَ بيدهِ شيئاً إلا أن يُجاهِدَ في سبيلِ الله»^(٧١).

١٦. حَفْظُ اللِّسَانِ وَتَرْكُ الكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْني.

٥٥. عن أبي هريرة وجماعةٍ من الصحابةِ رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المرءِ تَرْكُهُ ما لَا يَعْنيهِ»^(٧٢).

٥٦. عن كَعْبِ بنِ عَجْرَةَ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ فَقَدَ كَعْباً، فسأل عنه، فقالوا: مريض، فخرج يمشي حتى أتاه، فلما دَخَلَ عليه قال: أَبَشِّرْ يا كعب؛ فقالت أمُّه: هنيئاً لك الجنة يا كعب؛ فقال: من هذه المُتَأَلِّيةُ على الله؟! قال: هي أُمِّي يا رسولَ الله، فقال: وما يُدريك يا أمُّ كعب؟! لعلَّ كَعْباً قال ما لَا يَعْنيهِ، أو مَنَعَ ما لَا يَعْنيهِ»^(٧٣).

- ومعنى (يعنيه): يَخْصُه، فَيَهْتَمُّ به ويعتني. وليس ذلك بِحُكْمِ الهوى وَطَلَبِ النَّفْسِ، وإنما بِحُكْمِ الشرعِ والإسلام؛ ولهذا جعله مِنْ حُسْنِ الإِسْلَامِ.

٥٧. عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يَسْتَقِيمُ إيمانُ عَبْدٍ حتى يَسْتَقِيمَ قلبُه، ولا يَسْتَقِيمُ قلبُه حتى يَسْتَقِيمَ لسانُه، ولا يدخلُ رجلُ الجنةَ لا يأمنُ جارُه بِوَأْتِقَه»^(٧٤).

٧١- متفق عليه.

٧٢- صحيح. ص. ج. (٥٩١١).

٧٣- صحيح. الصحيحة (٢١٠٢).

٧٤- حسن. الصحيحة (٢٨٤٤)

• فعادتُ الاستقامة إلى استقامة اللسان؛ فراعوه واحذروه. وقد صنَّف ابنُ أبي الدنيا كتاباً سماه: «الصَّمْتُ وأدَابُ اللسان». (بواقفه): شروؤه ودواهيته، جمع (باتقة).

٥٨. عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ عبداً قالَ فَغَنِمَ أو سَكَتَ فَسَلِمَ»^(٧٥).

• قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت».

٥٩. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ ما يَتَّبِعُ فيها يَزِلُّ بها في النارِ أبعدَ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»^(٧٦).

٦٠. عن علقمة الليثي عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من رِضوانِ اللهِ تعالى ما يظنُّ أنَّ تَبْلُغُ ما بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ عز وجل له بها رِضوانه إلى يوم يلقاه، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من سَخَطِ اللهِ تعالى ما يظنُّ أنَّ تَبْلُغُ ما بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ تعالى عليه بها سَخَطُه إلى يوم يلقاه»^(٧٧). فكان علقمة يقول: كَمْ من كلامٍ قد مَنَعَنِيهِ حَدِيثُ بلالِ بنِ الحارثِ.

• فإذا كان هذا الامتناع عن الكلام لأجل حديث واحد، فكيف بغيره من الأحاديث الكثيرة التي فيها الترهيب من أفات اللسان.

٦١. عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ حَدِّثْني بأمرٍ أَعْتَصِمَ به، قال: قُلْ رَبِّي اللهُ ثُمَّ اسْتَقِم، قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ: ما أخوفُ ما تخافُ عَلَيَّ؟ فأخذ بلسانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قال: «هذا»^(٧٨).

٧٥- حسن. ص.ج (٢٤٩٧)، والصحيحة (٨٥٥).

٧٦- متفق عليه.

٧٧- صحيح. ص.ج (١٦١٩). والصحيحة (٨٨٨).

٧٨- صحيح. صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٦٢).

- أعظم ما يُحذر على الاستقامة؛ اللسان. ويدلُّ على ذلك أيضاً الحديثُ التالي:

٦٢. عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: كنتُ مع النبي ﷺ في سفرٍ فأصبحتُ يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قال: «لقد سألتَ عن عظيمٍ وإنه ليسيرٌ على من يسرهُ اللهُ عليه: تَعَبُدُ اللهُ لا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومُ رمضان، وتحجُّ البيت، ثم قال: ألا أدُلُّكَ على أبوابِ الخَيْرِ؟ قلتُ: بلى يا رسولَ اللهُ، قال: الصومُ جُنَّةٌ، والصدقةُ تطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ من جوفِ الليل، ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) ﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] ثم قال: ألا أُخبرُكَ برأسِ الأمرِ وعموده وذروة سنامه؟ قلتُ: بلى يا رسولَ اللهُ قال: رأسُ الأمرِ الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال ألا أُخبرُكَ بِمَلِكٍ ذلكُ كَلِّه؟ قلتُ: بلى يا رسولَ اللهُ. قال: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ قَلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهُ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قال: تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قال: على مناخرهم، إِلا حَصَائِدُ أَسْنِنَتِهِمْ». وفي لفظ: «إنك لن تزال سالماً ما سكتت، فإذا تكلمت كتبت لك أو عليك». وفي آخر: «يا معاذُ تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلا مَا نَطَقْتَ بِهِ أَسْنِنَتِهِمْ، فَمَنْ كَانَ يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: فَلْيَقِلْ خَيْراً أَوْ يَسْكُتْ عَنِ شَرِّ، قَوْلُوا خَيْراً تَغْنَمُوا، وَاسْكُتُوا عَنِ شَرِّ تَسَلِّمُوا»^(٧٩).

- فتأملوا كيف حذرَ ﷺ من اللسان بعد ذِكْرِ الاستقامة، فعلم أن أخطرَ شيءٍ على الاستقامة - صلاحاً وفساداً - هو اللسان.

١٧ . سَتْرُ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ .

٦٣ . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتْرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٨٠).

٦٤ . وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٨١).

٦٥ . وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ تُفْسِدُهُمْ»^(٨٢).

٦٦ . عن أبي بَرَزَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلْسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ كَانَ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»^(٨٣).

٦٧ . عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «حَرَسْتُ مَعَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً، إِذَا شَبَّ لَنَا سِرَاجٌ، فَمَشَيْنَا نَحْوَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ مُجَافٍ عَلَى قَوْمٍ قَدْ عَلَتْ أَسْوَاتُهُمْ وَكَثُرَ لَغَطُهُمْ، فَقَالَ: أَتَدْرِي بَيْتَ مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: هَذَا بَيْتُ رِبِيعَةَ بْنِ أُمِيَةَ بْنِ خَلْفٍ، وَهُمْ الْآنَ شَرِبُوا فَمَا تَرَى؟ قُلْتُ: أَرَى أَنَا قَدْ أَتَيْنَا

٨٠- رواه مسلم.

٨١- رواه مسلم.

٨٢- صحيح . ص.ج (٢٢٩٥) . وغاية المرام (٤٢٤).

٨٣- صحيح . ص.ج (٧٩٨٤) . وغاية المرام (٤٢٠) . وصحيح الترغيب والترهيب (٢٣٣٩).

ما نهانا الله عنه، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]. وقد تجسسنا.
قال: فرجع وتركهم».^(٨٤)

٦٨. عن ابن عمَر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرون، وإنَّ من المَجَانَةِ أن يعملَ الرجلُ عملاً بالليل ثم يُصْبِحُ وقد سَتَرَهُ اللهُ، فيقول: يا فلانُ عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف سترَ الله عنه»^(٨٥).

• المَجَانَةُ: عدمُ المبالاة بالقول والفاعل. وفي رواية: «إن من المجاهرة».
ومن صفات الله تعالى أنه سَتِيرٌ يُجِبُّ السَّتْرَ؛ ولذا أمر سبحانه بِسْتَرِ العوراتِ الماديَّةِ والمعنوية.

١٨. إزالة الأذى عن الطريق.

٦٩. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتُ رجلاً يتقلبُ في الجنةِ في شجرةٍ قطعها من ظهرِ الطريقِ كانت تؤذي الناس»^(٨٦).

٧٠. وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمانُ بضْعٌ وستون - أو بضْعٌ وسبعونُ شُعْبَةً أعلاها قولُ لا إله إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان»^(٨٧).

٨٤- رواه الخرائطي في "المكارم" (٥٣٩)، (٥٦٤) بإسناد صحيح.

٨٥- متفق عليه.

٨٦- رواه مسلم.

٨٧- متفق عليه.

١٩. صدق الحديث.

٧١. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع إذا كنَّ فيك فلا يضرُّك ما فاتك من الدنيا: صدق حديث، وحفظ أمانة، وحسن خليقة، وعفة طعمة»^(٨٨).

٧٢. عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإنه مع البرِّ وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور، وهما في النار، وسلوا الله اليقين والمعافاة: فإنه لم يؤت أحدٌ بعد اليقين خيراً من المعافاة، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله»^(٨٩).

٧٣. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البرِّ، وإن البرِّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٩٠).

- فالصدق هو أساس البرِّ الذي هو أجمع كلمة للخير، والذي هو عماد التقوى.

٢٠. السخاء والكرم، والبذل من الفضل.

٧٤. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا»^(٩١).

٨٨- صحيح. الصحيحة (٧٢٢).

٨٩- صحيح. ص.ج (٤٠٧٢).

٩٠- متفق عليه.

٩١- حسن. ص.ج (٢٧٨٥). والصحيحة (١٧٦٦).

- الأكثرون: أي الأكثرون مالاً. قال بالمال: أي: أنفقَ المال.

٧٥. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ»^(٩٢).

٧٦. وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يُصْبِحُ العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ مُنْفِقاً خَلفاً، ويقول الآخرُ: اللهم أعطِ مُمِسِكاً تَلْفاً»^(٩٣).

٧٧. عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كنت امرأةً مُحْصِيَةً، فقال النبي ﷺ: «أَنْفَقِي أَوْ أَنْفَحِي أَوْ ارْضَخِي، وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِي اللَّهُ عَلَيْكِ، أَوْ لَا تُوعِي فَيُوعِي اللَّهُ عَلَيْكِ»^(٩٤).

- (انْفَحِي): من النْفَح وهو العطاء. أي: أَعْطِي. وكذلك (ارْضَخِي): من الرِّضْخ. (لا تُوعِي): لا تجمعي وتَشْحِي بالنفقة. (محْصِيَةً): أي: تُحْصِي المَالَ وتَعُدُّه، ولازِمُه عَدَمُ التَّفَقَّةِ مِنْهُ.

٧٨. عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟ قُلْنَا: جَدُّ بَنِي قَيْسٍ، عَلِيٌّ أَوْ نَبِخْلُهُ. قَالَ: وَأَيُّ دَاءٍ أَدَوَى مِنَ الْبُخْلِ؟! بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ. وَكَانَ عَمْرُوٌّ عَلَى أَصْنَامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَكَانَ يَوْمِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَزَوَّجَ»^(٩٥).

- فَالْبُخْلُ دَاءٌ، بَلْ هُوَ أَقْبَحُ الْأَدْوَاءِ.

٩٢- متفق عليه.

٩٣- متفق عليه.

٩٤- متفق عليه.

٩٥- صحيح. صحيح الأدب المفرد (٢٩٦/٢٢٧).

٢١. العطف على البنات والإحسان إليهن.

٧٩. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ابْتَلَى بِشَيْءٍ مِنْ الْبَنَاتِ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ»^(٩٦).

٨٠. عن عُمَيبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَكْرَهُوا الْبَنَاتِ، فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ»^(٩٧).

٨١. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي يَعُولُ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ؛ إِلَّا كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»^(٩٨).

٨٢. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ فَاتَّقَى اللَّهَ وَأَقَامَ عَلَيْهِنَّ كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَوْمَأَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى»^(٩٩).

٨٣. عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يُوْوِيهِنَّ وَيُكْفِيهِنَّ؛ فَقَدْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةُ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ وَتَتَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَتَتَيْنِ»^(١٠٠).

• ورواه أحمد فزاد: «قال: فرأى بعض القوم أن لو قالوا له واحدة؟ فقال: واحدة»^(١٠١).
(البتة): قَطَعًا.

٩٦- صحيح. ص. ج (٥٩٣١).

٩٧- صحيح. الصحيحة (٢٢٠٦).

٩٨- صحيح. ص. ج (٥٢٧٢).

٩٩- صحيح. الصحيحة (٢٩٦، ٢٩٥).

١٠٠- صحيح. الصحيحة (١٠٢٧).

١٠١- الصحيحة (٢٦٧٩).

٢٢. كَفَالَةُ الْيَتِيمِ.

٨٤. عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا - وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما»^(١٠٢).

٨٥. عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً شكاً إلى رسول الله قسوة قلبه، فقال له: «إن أردت تلين قلبك؛ فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»^(١٠٣).

٢٣- الشفاعة لذي الحاجة.

٨٧. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشفعوا تُجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»^(١٠٥).

• فالشفاعة سببٌ من الأسباب، وقضاء الحوائج على رب العالمين. ولكن الشفاعة مشروطةٌ بالحق؛ فلا شفاعة في باطل.

٨٨. عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شفّع لأخيه بشفاعة، فأهدى له هديةً عليها فقَبَلَهَا؛ فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا»^(١٠٦).

١٠٢- رواه البخاري. وفي لفظ: [له ولغيره].

١٠٣- حسن. الصحيحة (٨٥٤).

١٠٤- صحيح الإسناد. صحيح الأدب المفرد (١٣٨/١٠٣).

١٠٥- متفق عليه.

١٠٦- حسن. الصحيحة (٣٤٦٥).

- وهذا لا يخالف قوله ﷺ: «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه»؛ لأن هذا محمودٌ على ما ليس بشفاعة، أو على ما ليس بواجب من الحاجة. / قاله الألباني رحمه الله.

٢٤. الرِّفْقُ وَالْأَنَاةُ وَتَرْكُ الْعَجَلَةِ.

٨٩. عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُحَرِّمِ الرِّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»^(١٠٧).

٩٠. عن عبد الله بن مَعْمَلٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»^(١٠٨).

٩١. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(١٠٩).

٩٢. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إن فيك خصلتين يُحِبُّهُمَا اللَّهُ عز وجل: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»^(١١٠).

٩٣. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «التَّائِبِي مِنَ اللَّهِ. وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١١١).

١٠٧- رواه مسلم.

١٠٨- صحيح. ص. ج (١٧٧١) عن عبد الله بن مغفل وغيره من الصحابة.

١٠٩- متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

١١٠- رواه مسلم.

١١١- حسن. ص. ج (٢٠١١). والصحيحة (١٧٩٤).

٩٤. عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «التُّؤَدَةُ وَالِاقْتِصَادُ وَالسَّمْتُ الْحَسَنُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ»^(١١٣).

• التُّؤَدَةُ: التَّانِي وَتَرَكَ الْإِسْتِعْجَالَ.

٩٥. عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «التُّؤَدَةُ وَالِاقْتِصَادُ وَالسَّمْتُ الْحَسَنُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ»^(١١٣).

٩٦. عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ. إِنْ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(١١٤).

• الرَّفْقُ: لَهُ مَبْدَأٌ وَمُنْتَهَى: فَمَبْدُؤُهُ التَّانِي وَعَدَمُ الْعَجَلَةِ لِيَتَبَيَّنَ الْأَمْرَ، وَمُنْتَهَاهُ اللَّطْفُ وَالْإِحْسَانُ وَلِئِنْ الْجَانِبَ. وَالرَّفْقُ يَكُونُ فِي كُلِّ شَيْءٍ: فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ. وَبِهِ تَسَهَّلُ الْأُمُورُ، وَيَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَيَجْتَمِعُ مَا تَشْتَتِ، وَيَتَأَلَّفُ مَا تَتَأَفَر.

٩٧. عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ»^(١١٥).

٢٥. حَسَنُ الْمَجَالِسَةِ وَحَقُّهَا.

٩٨. عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ»^(١١٦).

١١٢- صحيح. ص.ج (٢٠١٠).

١١٣- صحيح. ص.ج (٢٠١٠).

١١٤- رواه مسلم.

١١٥- صحيح. ص.ج (٢٠٣) الصحيحة (١٢١٩) ومثله عن جابر.

١١٦- حسن. ص.ج (٦٦٧٨). ومثله عن عثمان وابن عباس. ص.ج (٢٢٣٠).

- ومعنى الحديث: أن المجالسَ الحسنَةَ إنما هي المصحوبةُ بالأمانة - أي: كتمانَ ما يقَعُ فيها من التفاوُضِ في الأسرار، فلا يجوزُ إفشاءُ ما يكرهُ صاحبهُ إفشاءً منها؛ إلا ما يجبُ إفشاؤه إذا تعيّن في الكتمانِ مَضَرَّةٌ مُحَقَّقةٌ.

٩٩. عن جابرِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا حدّثَ الرجلُ بحدِيثٍ ثم التفتَ فهي أمانة»^(١١٧).

- التفتُ المتحدّثِ علامةٌ منه تقوّمُ مقامَ قولِهِ: لا تُفْشِ هذا السر، أو اكنم هذا الكلام، فإنّ التفتاتِ معناه أنه يخشى أن يسمعه أحد، أو أنه لا يريد أن يسمعه أحدٌ غيرَ الذي يُحدّثه.

إذا حدّثوا لم يُخشِ سوءَ استماعِهم وإن حدّثوا أدّوا بحسْنِ بيان

١٠٠. عن ابنِ عمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يُقيّمُ الرجلُ الرجلَ من مَجْلِسِهِ ثم يجلسُ فيه، ولكن تَفَسَّحُوا وتوسعوا»^(١١٨).

- وكان ابنِ عمَرَ رضي الله عنهما إذا قام له رجلٌ من مَجْلِسِهِ لم يجلسَ فيه. رواه مسلم.

١٠١. عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا قام الرجلُ من مَجْلِسِهِ ثم رجعَ إليه فهو أحقُّ به»^(١١٩).

١٠٢. عن وَهَبِ بْنِ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الرجلُ أحقُّ بِمَجْلِسِهِ، وإن خَرَجَ لحاجتِهِ ثم عاد؛ فهو أحقُّ بِمَجْلِسِهِ»^(١٢٠).

١١٧- حسن ص. ج (٤٨٦). والصحيحة (١٠٩٠).

١١٨- متفق عليه.

١١٩- رواه مسلم. والصحيحة (٣٩٧٥).

١٢٠- صحيح. الإرواء (٤٩٤). ص. ج (٣٥٤٤).

١٠٣. عن جماعةٍ من الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم أن النبي ﷺ قال: «إذا أتاكم كريمٌ قومٍ فأكرّموه» (١٢١).

٢٦. التواضع.

١٠٥. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله» (١٢٣).

٢٧. حسنُ الصُّحبةِ.

١٠٦. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الرجلُ على دينِ خليله، فليَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مِنْ يُخَالِلُ» (١٢٤).

- الصاحبُ الصالحُ يَخْتَصِرُ عَلَيْكَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ.

١٠٧. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْبَرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحَدِّدَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَيْبَرِ: إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً» (١٢٥).

١٢١- حسن. ص.ج (٢٦٩). والصحيحة (١٢٠٥).

١٢٢- صحيح الإسناد. صحيح الأدب المفرد (١١٤٥/٨٧٧).

١٢٣- صحيح. ص.ج (٦١٦٢). والصحيحة (٢٣٢٨).

١٢٤- حسن. ص.ج (٣٥٤٥). والصحيحة (٩٢٧).

١٢٥- متفق عليه.

٢٨. النصيحة.

١٠٨. عن تميم الداربي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة. قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١٣٦).

• ذكر محمد بن أسلم الطوسي أن هذا الحديث أحد أرباع الدين. وقوله ﷺ: «الدين النصيحة» يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام.

١٠٩. عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(١٣٧).

• من أعظم النصيحة: النصيحة لأئمة المسلمين وذلك بحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدبير بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل.

١١٠. وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست (فذكر منها): وإذا استنصحتك فانصح له».

١٢٦- رواه مسلم.

١٢٧- متفق عليه.

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَذَا الْمَجْمُوعِ، وَأَنْ يَهْدِيَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَأَنْ يَصْرِفَ عَنَا سَيِّئَهَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يَصْرِفُ عَنَا سَيِّئَهَا إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَأَخْرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وكتب أبو عبد الرحمن

سعد بن السيد الشال

٥١٤٣٣/٥/١٢

٢٠١٢/٤/٤م

بإمارة دبي- دولة الإمارات العربية المتحدة

أعزها الله بالتوحيد والسنة

وأعزبها التوحيد والسنة